

تساؤلات أولياء أمور طلاب المدارس المصرية بين الخوف على أبنائهم وحرصهم على تعلمهم في ظل نظام تعليمي جديد

د. لبنى محمود شهاب *

ما ملامح العام الدراسي الجديد في ظل جائحة كورونا؟ وهل من الآمن لأبنائنا الذهاب إلى المدرسة في ظل هذه الظروف؟ وهل التعليم عبر الشبكات سوف يُغني عن المعلم وتفاعله مع طلابه وجهاً لوجه؟ وهل ذهاب الطالب إلى المدرسة عدة أيام في الأسبوع سوف يحقق مُخرجات ونواتج التعلم المتوقعة؟... إلخ. تساؤلات كثيرة قصدتُ أن أبدأ بها مقالي وكأني أتكلم بلسان حال أولياء أمور طلاب المدارس المصرية، الذين يعانون ضغوطاً كثيرة نتيجة التزعزع ما بين خوفهم على أبنائهم وبين حرصهم على مستوى التحصيل الدراسي. بدايةً أود أن أشير إلى أنه لا توجد حتى الآن مؤشرات مؤكدة من قِبَل منظمة الصحة العالمية أو وزارة الصحة بدخول مصر في الموجة الثانية لجائحة كورونا أم لا، بالإضافة إلى أنه من المُسلم به بأن التعليم عبر الشبكات لا يُغني عن التعليم وجهاً لوجه داخل المدارس والذي يتضمن مزايا عدة، منها التفاعل مع المعلم والتواجد في بيئة مدرسية حقيقية تُسهم في تنمية الشخصية المتكاملة والذكاءات المتعددة لأبنائنا، سواء في الجوانب النفسية، أم الانفعالية، أم الاجتماعية والشخصية وغيرها من الجوانب التي يصعب على البيئة الافتراضية تحقيقها.

وهذا ما دفع وزارة التربية والتعليم إلى استبعاد فكرة إغلاق المدارس نهائياً والاعتماد على التعليم الهجين ومنصات البث المباشر المختلفة. ومن هذا المنطلق يأتي هذا المقال لإلقاء الضوء على استقبال الأبناء في مصر للعام الدراسي الجديد بعد تصريحات مجلس الوزراء ووزارة

* مدرس بقسم التربية المقارنة والإدارة التربوية - كلية التربية - جامعة حلوان - مصر.

التربية والتعليم، وذلك من خلال عرض اتجاه عام يسيطر على أبنائنا في أغلب قطاعات المجتمع، ثم اتجاهات متعددة ومختلفة تتفاوت من طبقة اجتماعية إلى أخرى ومن نظام تعليمي إلى آخر، باعتبار أن نظام التعليم المصري متعدد ومتنوع ويتضمن صيغاً مختلفة.

أولاً: يسيطر على أولياء الأمور وأبنائهم حالياً اتجاه عام في استقبالهم للعام الدراسي الجديد، يتمثل في الاهتمام بالإجراءات الاحترازية والتسوق لشراء الكمادات، والمطهرات، وعُبوات الكحول وأدوات التعقيم باعتبارها أولوية قصوى حالياً بدرجة أكبر من إقبالهم على شراء الزي المدرسي، والأدوات المدرسية والكتب الخارجية كما تعودنا كل عام، وذلك لأسباب عدة يذكر منها سببان على سبيل المثال لا الحصر، السبب الأول هو عدم وضوح ملامح العام الدراسي بشكل كامل ووجود مؤشرات لاحتمال إغلاق المدارس في أي لحظة، وهو ما حدث بالفعل من خلال إغلاق فصلين بإحدى المدارس الدولية بمدينة ٦ أكتوبر، فلسان حال أولياء أمور يردد "إذا كانت الإصابات وصلت للمدارس الدولية، فالكارثة قد تكون أكبر بمدارسنا الحكومية"، والسبب الثاني هو ضعف الإمكانيات بأغلب مدارسنا المصرية والافتقار إلى ثقافة الحرص على التباعد، والاهتمام بغسل الأيدي والتعقيم الدوري بين بعض العاملين، وترديد عبارات تبدو في ظاهرها إيماناً بالله والقدر ولكنها في حقيقتها تفنقراً إلى الأخذ بالأسباب، ومنها "سببها على الله" وكثير منهم يدعم تكاسله عن العمل بآيات قرآنية دون التمعن والتعمق في معناها والمغزى منها، مثل "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا".

ثانياً: من خلال استطلاع آراء كثير من الأبناء بأنماط التعليم المختلفة لوحظ ما يلي:

- يستقبل أغلب طلاب المرحلة الابتدائية العام الدراسي الجديد؛ خصوصاً في المراحل الأولى من الصف الأول وحتى الثالث الابتدائي، برغبة شديدة في الحضور طوال الأسبوع سواء بالمدارس الحكومية العامة والتجريبية وكذلك المعاهد القومية، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها: المنهج الدراسي الجديد الخاص بتلك المرحلة والذي تحرر من تكدس المحتوى العلمي من خلال الاعتماد على الأنشطة بشكل أكبر والتكامل بين المجالات الدراسية المختلفة، من خلال منهج ديسكفري الذي يعتمد على المزج بين العلوم والرياضيات والدراسات الاجتماعية؛ وبالتالي أصبح الطالب يسعى لممارسة تلك الأنشطة التي أصبحت تُعمّم حتى في حصص اللغة العربية والإنجليزية؛ خصوصاً في ظل تقلص - إن لم يكن غياب - الواجبات المدرسية تماماً.

أيضاً، خصائص الطفل في هذه المرحلة العمرية المفعمة بالنشاط والحيوية والرغبة في الانطلاق ورفض فكرة الحظر بالمنزل، وهو ما تجلّى على لسان تلميذة بالصف الثالث الابتدائي قائلة: "أرجوكم فُكُّوا الحظر، أنا عاوزة أروح المدرسة"، وانهالت بالبكاء بعد قرار مدير مدرستها بالذهاب ثلاثة أيام بالأسبوع فقط. وهو ما يتعارض تماماً مع وجهة نظر أولياء الأمور الذين تضرروا من المنهج الجديد نتيجة تعوُّدهم على منهج علمي مُكثَّف طوال السنين الماضية، وواجبات مدرسية تُشعرهم بدورٍ مهم يقوم به المعلم بالمدارس، بالإضافة إلى تخوُّفهم من إصابة أبنائهم في تلك المرحلة بفيروس كورونا نتيجة ضعف الجهاز المناعي في تلك المرحلة.

- أما بالنسبة إلى طلاب المرحلة الإعدادية، فإن الغالبية العظمى منهم يشعرون بعدم الرغبة في الذهاب للمدرسة، باعتبار أن الحضور لمدة يومين فقط في الأسبوع لن يُسهم في تحصيلهم الدراسي؛ وذلك نتيجة الاعتماد على الدروس الخصوصية التي لا زالت قائمة بالرغم من جهود وزارة التربية والتعليم والدولة لإغلاق المراكز المختلفة، إلا أن هناك عوامل أخرى نتاج جائحة كورونا حالت دون أن تُكُلِّل تلك الجهود بالنجاح؛ أهمها:
- تضافر أولياء الأمور والطلاب الذين اتجهوا في الوقت الراهن لتشجيع المعلمين على فتح مراكز الدروس الخصوصية، من خلال تقليص الأعداد ومراعاة الضوابط وإجراءات التباعد بين الطلاب؛ خاصةً لمزايا منها اختيار أقرب مركز لحل السكن، بالإضافة إلى وجود نظام المتابعة مع ولي الأمر، وهي الحلقة المفقودة في المنصّات عن بُعد والغالبية العظمى من المدارس.
- تقليص أيام الدراسة بالمدارس مما سوف يترتب عليه ضعف العائد من الحضور بالمدارس، بل وقد أشار بعض الطلاب بالمرحلة الإعدادية بعبارة "لن يكون هناك تعليم!!!!".
- اتجاه بعض المعلمين لعقد الدروس الخصوصية عبر الشبكات من خلال تطبيقات تكنولوجية تتيح التفاعل بين المعلم وطلابه، مثل تطبيق زووم.
- ضعف إمكانيات كثير من الطلاب وعدم تمكُّنهم من متابعة الدراسة عبر الشبكات والمنصّات التعليمية التابعة للوزارة باقي أيام الأسبوع؛ ومن ثَمَّ يتم اللجوء إلى الحضور بمراكز الدروس الخصوصية.
- في حين لوحظ تفاوت الاتجاهات بين طلاب المرحلة الثانوية، حيث يشعر طلاب الصف الأول

الثانوي بحالةٍ من القلق والتخبطٍ تجاه معالم النظام الثانوي في العام الدراسي الجديد، في حين يستقبل طلاب الصفين: الثاني والثالث الدراسة بصورة طبيعية ودون أي تخوفٍ أو قلق نتيجة النظام الجديد، الذي يعتمد على المحتوى الإلكتروني للمناهج الدراسية بأجهزة التابلت، وباستطلاع آرائهم فيما يخص الحضور بالمدارس، أشارت إحدى الطالبات إلى أن الحضور بالمدارس أمر مرغوب لطلاب الصفين: الأول والثاني فقط؛ لارتباطهم بدرجات أعمال السنة، بالإضافة إلى رغبتهم في تلقي الشرح من معلمي المدارس الذين لا زالوا يعتمدون على الشرح التقليدي دون الرجوع إلى المحتوى الإلكتروني على التابلت، كما أنه لا تتم الاستفادة من الإمكانيات المتاحة بالمدرسة مثل السُّبُورة الذكيَّة. في حين يسعى طلاب الصف الثالث الثانوي للحضور فقط بغرض مقابلة أقرانهم لا أكثر، كما أكدوا أن أغلب المشكلات التي يواجهونها في الامتحان بنظام التابلت نتيجة عدم الاهتمام بتدريبهم على استخدامه بالمدارس، وإنما لا زال التدريس بالنظام التقليدي ولكن في ظل غياب الكتب المدرسيَّة؛ لذا يتم اللجوء إلى الدروس الخصوصية. وبسؤالهم عن أسباب التوجُّه لمراكز الدروس الخصوصية التي بدأت بالفعل بالرغم من إتاحة وزارة التربية والتعليم للمنصَّات التعليمية والبلث المباشر لشرح المناهج، أفادت إحدى الطالبات أن المنصات فقيرة جداً في معلوماتها وتحتاج إلى مزيدٍ من البحث حول موضوعاتها، بالإضافة إلى الحاجة إلى شرح من المعلم حتى يتمكَّن الطالب من فهم المحتوى المقدم بالمنصة، وهو ما لا يتحقق فعلياً على أرض الواقع بالمدارس؛ ومن ثمَّ يلجأ الطالب إلى مراكز الدروس الخصوصية.

- اختلفت اتجاهات طلاب مدارس المتفوقين تجاه المدارس الثانوية، حيث يفتقد الطلاب لحظات العمل الجماعي في مشروع واحد هو الكابستون والذي يحقق متعة التعلم لدى فريق العمل، حيث تعتمد الدراسة بمدارس المتفوقين في العلوم والتكنولوجيا (ستيم) على التعلُّم القائم على المشروعات، وتُخصَّص نسبة ٦٠٪ من تقييم الطلاب في الصفين: الأول والثاني لما أنجزه فريق العمل في المشروع، في حين تنقلص تلك النسبة إلى ٢٠٪ في الصف الثالث الثانوي. في حين يقوم المعلم بدور المرشد والمُوجِّه لطلابه من خلال شرح مُخرجات ونواتج التعلم المتوقعة، وقيام الطلاب بالتوجه نحو المنصات التعليمية والتعلم الذاتي لتحقيق تلك المخرجات. وهو ما يفسر الاتجاهات الإيجابية من طلاب مدارس المتفوقين نحو الدراسة ودافعيَّتهم نحو الاشتراك مع أقرانهم في العمل، وشراء

المستلزمات والخامات الخاصة بتصميم نموذج مُصَغَّر لفكرة قد تكون جديرةً بالتنفيذ في المستقبل، بالإضافة إلى أن طلاب تلك المدارس اعتادوا على استخدام المنصات الإلكترونية والتعلم عن بُعد.

- إلا أنه ظهر تحفُّظ من بعض طلاب مدارس المتفوقين فيما يخص اشتراط الإقامة الداخلية بتلك المدارس؛ ومن ثَمَّ فإنهم معرضون لخطر الإصابة بفيروس كورونا أكثر من أقرانهم في النظام الثانوي العام نتيجة وجود أكثر من طالب في غرفة واحدة، وتناول الوجبات في وقتٍ ثابتٍ مُوحَّد في مطعمٍ يضم الطلاب كافة؛ وبالتالي فإن تلك الفئة من الطلاب تتطلَّع إلى قرارٍ من وزارة التربية والتعليم يتضمن تخصيص أيام محددة للحضور بالمدارس للعمل على مشروع الكابستون دون إلزام هؤلاء الطلاب بالإقامة الداخلية؛ خاصة لمن لديهم محل إقامة يسمح بالانتقال اليومي من وإلى المدرسة، على أن تكون باقي أيام الدراسة والحصص المدرسية عبر الشبكات وقائمة على التوجيه والإرشاد من المعلم عن بُعد، والتعلُّم الذاتي من الطلاب باعتبارهم مُؤهلين لذلك.

مما سبق يتبين أن جائحة كورونا تمثل سلاحاً ذا حدين في تأثيرها على التعليم المدرسي، حيث ظهرت آثارها الإيجابية في تطوير القنوات والثقافات تجاه التحول الرقمي والتعليم الهجين باعتباره أمراً حتمياً لا مفرَّ منه، وإدراك أن استراتيجية تطوير التعليم قبل الجامعي التي بدأت الوزارة في تطبيقها هي السبيل لمواكبة التحديات والفرص التي سيواجهها التعليم في المستقبل، إلا أن تطبيق تلك الاستراتيجية يتطلب التروِّي وإصلاح ما أفسدته سنوات مضت في المدارس وبنيتها التحتية، وأحوال المعلمين، ونُظم الإعداد، واستراتيجيات التدريس والتعلُّم، وأساليب التقييم والامتحانات، كما تتطلب تلك الاستراتيجية النظر بعين الاعتبار لفئاتٍ مجتمعية في الأقاليم والمناطق النائية والريفية التي تعاني من ضعف التغطية فيما يخص شبكات الإنترنت؛ وبالتالي لا بدَّ من تصافر جهود هيئات الدولة المعنية كافة مع وزارة التربية والتعليم. أما الآثار السلبية، فهي تتمثل في تفاقم ظاهرة الدروس الخصوصية نتيجة عدم التزام الطلاب بالجدول المدرسي بالكامل والاقترار على يومين فقط أسبوعياً في أغلب المدارس، بالإضافة إلى عدم إتاحة فرص التعلم عن بُعد ووجود مشكلات تقنية خاصة بشبكات الإنترنت، تحوُّل دون تمكُّن طلاب مدارس الجمهورية كافة من الاستفادة من خدمات المنصات والبث المباشر التي تقدمها الوزارة.